فريق التفريغ بموقع الطريق إلى الله
يـــقـــدم

من سلسلة "كيف تتلذذ بعبادتك؟"
التلذذ بذكر الله

لفضيلة الشيخ: مشاري الخراز

رابط المادة: http://www.way2allah.com/khotab-item-78127.htm

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن ولاه أما بعد:

تذكَّر فإنك تكلم الله

كل المسلمين يذكرون الله تعالى ولكن هل كل من ذكر الله تعالى أحس بحلاوة الذكر الفعلية، إنه يوجد سر يعطيك لذة أثناء هذه العبادة إنه شيء سهل إنه ببساطة أن تخاطب الله بهذا الذكر فإذا قلت الحمد لله فأنت الآن تكلم الله تعالى فتقول له إن الحمد لك يا ربي وأنك الآن لا تحمد أحدًا سواه.

الحمد لله، الحمد لله، الحمد لله حتى ترضى، التكبير.. الله أكبر أنت يا ربي أكبر من كل شيء سبحانك لهذا فأنا أقول لك الله أكبر لأنني فعلًا أعتقد أنك في قلبي أكبر من كل شيء، استشعر أنه أكبر من المعصية التى يدعونا الشيطان إليها، أنت يا ربي أكبر من الشهوات المحرمة التى ينشغل بها الناس عنك.

هل تظن أنك إذا قلت الأذكار وأنت تستشعر أنك توجهها لله تعالى وأنك الآن تكلمه وهو يسمعك هل تظن أنها ستكون مشابهة للأذكار التي نقولها في كل مرة –مستحيل– وإن كانت الألفاظ واحدة لم تتغير، هنا قلنا الله أكبر وهنا قلنا الله أكبر إلا أن القلب تغير، هذا قلبه غافل ساهي، والآخر يستشعر أنه يوجه هذه الكلمات لله تعالى، إنه يخاطب الله الآن وربنا يسمعه فقلب هذا العبد فرحًا بذلك أشد الفرح لأنه يوجه الكلام لله لهذا فهو يحس بفرح أكثر.

دعني أضرب لك مثالًا لو فرضنا أن أحد الأبناء أخذ يحاول أن يحفظ بيتين من قصيدة عن محبة الأم لكي يقولها لأمه عندما يكلمها، وهو مسافر أخذ يرددها يرددها لكي يحفظها، بالله عليكم هل سيكون شعوره وهو يرددها لكي يحفظها مثل شعوره عندما يكلم أمه ويقول نفس البيتين –لا والله– لا يمكن إنه سيشعر بفرح ومحبة أكثر فقط لأنه الآن يوجه الكلام لأمه، طيب ولله المثل الأعلى من فضلك عندما تثني على الله تعالى وتذكره وتشكره وجه الكلام إليه.

وبالمناسبة هو الآن يستمع إليك وينظر بماذا ستقول وبماذا ستشعر فإذا كنت حاضر القلب وتوجه الكلام إليه سبحانه فإنه سيحبك أكثر مما لو كنت فقط تردد الكلمات وأنت سرحان لماذا؟

لأن الذكر له ثلاث مراتب ذكرها أهل العلم..

مراتب الذكر:

أدنى مرتبة: أن تذكره بلسانك وقلبك سرحان يفكر في شيء آخر هذا لا يزال خير إلا أنه ليس الكمال، الأقرب من الكمال هو المرتبة الوسطى: أن تذكره بقلبك فقط بدون تحريك اللسان كمن يعني يتأمل يتفكر في عظمة الله ونعمه وهو ساكت، أما أكمل مراتب الذكر أعلاها: أن يذكر الله بالقلب واللسان وهذا ما كنا نتكلم عنه المطلوب هو أن تقول لا حول ولا قوة إلا بالله وأنت فعلًا توجه الكلام إلى الله وتقول له نفس العبارة لا حول ولا قوة إلا بالله ولكن قلبك يستشعر أنك تعترف بأنك تبرأت من حولك وقوتك ومن حول الناس وقوتهم ومن قوة جميع المخلوقات التي أعطاها الله القوة من كل شيء إلا منك أنت يا من أوجه كلامي إلى جلالته وعظمته.

أنت الوحيد الذي تملك الحول والقوة، ثم تقولها مرة أخرى وتستشعر أنك تطلب شيئًا من هذه القوة فإذا به سبحانه يعطيك كنوزًا من هذه القوة في الدنيا والآخرة.

قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم "قُلْ: لا حولَ ولا قوةَ إلابالله، فإنها كَنزٌ من كُنوزِ الجنةِ" صحيح البخاري

فإذا كان قد أعطاك الآخرة وهي أغلى وأحب إليه، فكيف لا يعطيك الدنيا التي هي أهون عليه.

نِّعم الله علينا لا تعد ولا تحصى، فهل نشكر الله من قلوبنا؟

ما هو شعورك عندما تقول الحمد لله؟ بماذا تشعر؟ استشعر بأنك تشكر مَنْ أنقذك من الهلاك مع أنك أخطأت في حقه وبعد أن أنقذك أعطاك.

تخيل مثلًا لو أنك كنت تخطأ في حق جارك في كل يوم أو في كل يومين بأنك كنت تركن سيارتك في مكانه، أو في بيته ثم في يوم من الأيام تعرضت أنت للخطف وللسرقة فقام جارك وأنقذك من الخطف، وفوق هذا أعطاك مثل قيمة المال الذي سرقوه منك وزيادة ثم بعدها صادف أن قابلته كيف ستقول له شكرًا؟ هل ستقولها له هكذا شكرًا شكرًا، أم أنك ستخرجها من كل قلبك وستحاول أن تظهر له الامتنان وتريده أن يشعر بأنك فعلًا تشكره من قلبك ليس شكرًا معتادًا كما تشكر أى إنسان ألا يحدث هذا؟

ولله المثل الأعلى؛ ربنا سبحانه وتعالى في كل يوم بل في كل لحظة ينقذنا من موت محقق فيأمر هو سبحانه كل عضو من أعضائنا أن يستمر بالعمل ولا يتوقف، طيب لو توقف القلب أو مثلًا لو سمح الله بدخول فيرس ولكن خطير إلى جسدك، إنه لم يفعل سبحانه أو حتى حادث سيارة ماذا سيحدث؟ إنه لم يفعل ذلك سبحانه فهو في كل يوم ينقذنا ونحن تقريبًا في كل يوم نذنب وهو سبحانه يكافئ هذا الذنب بمزيدًا من النعم والكرم ولم يمنعه ذنبنا من إكرامنا وإطعامنا.

أخي الكريم.. أختي الكريمة.. إذا خطر الحمد ببالك فدعه يخرج من كل قلبك مع كامل الحب والحنان، فإن الله تعالى يحب ذلك منك، ما الذي يدريك لعله بهذا الحمد يغفر لك كل ما سبق فهو يفعل ذلك كثيرًا سبحانه.

قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: "من أَكَلَ طعامًا فقال الحَمدُ للَّهِ الَّذي أطعَمَني هذا ورَزَقَنيهِ من غَيرِ حولٍ منِّي ولا قوَّةٍ ، غفرَ لَهُ ما تقدَّمَ من ذنبِهِ" حسنه الألباني.

اذكر الله بقلبك

والآن بعد ما وجهت الخطاب إليك فأحسست بحلاوة الذكر يمكنك أن تفعل شيئًا آخر بعد ذلك يزيد جمال الذكر قلبك ويجعلك أكثر راحة ما هو؟

إنها المشاعر التي يمكن أن تستشعرها أثناء الذكر مثل شعور المحبة؛ أن تستشعر محبة أثناء الذكر، هذا بُعد آخر في العبادة، البعد الأول؛ أن يكون قلبك حاضرًا أن لا تكون سرحانًا.

ثم نجد بعد ذلك بعدًا أعمق منه؛ وهو أن لا تكون سرحانًا وأن تعرف معاني الأذكار التي تقولها فلا تقل كلامًا لا تعرف معناه مثلًا أن تعرف معنى سبحان الله التسبيح: أن تعرف معنى التحميد ما الفرق بينه وبين الشكر، إذا قلت أعوذ برب الفلق أن تعرف ما هو الفلق؟ ما معنى الصمد؟ ما معنى " وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ " الزخرف:١٣ وهكذا.

ثم البعد الثالث؛ هو أعمق من اللي قبله أن تستشعر أنك توجه هذا الذكر إلى الله تعالى كما ذكرنا في بداية الحلقة أما أعمق هذه الأبعاد؛ أن تستشعر مشاعر معينة أثناء الذكر وهذا الذي يجعل الذكر مختلفًا عن أي شيء آخر تفعله في حياتك لأنك لو كنت تذكر الله وقلبك حاضر وأنت تعرف ماذا تقول وتوجه الكلام إلى الله هذا جيد ولكنه في النهاية لا يختلف عن ما إذا أردت أن تشتري شيئًا من البائع فإنك وقتها ستكون حاضر القلب وأيضًا تعرف معاني ألفاظك وستوجه الكلام إليه فما الفرق؟

الفرق هو في هذا البعد الرابع الذي سنتكلم عليه وهو أن توجد مشاعر معينة أثناء الذكر مثل شعور الحب فأنت عندما تكلم البائع تكون حاضر القلب ولكن لا تستشعر الحب، الذكر تستشعر أن الذى تذكره أنت الآن أنت تحبه ولولا أنك تحبه ما ذكرته قال أهل العلم: "ذكرك لله على قدر حبك له" فإذا استشعرت ذلك زاد أجرك في الذكر، وأيضًا ستزيد لذة الذكر في قلبك قال مالك بن دينار "ما تلذذ المتلذذون بمثل ذكر الله تعالى".

الله عز وجل يذكرك في السماء

وأيضًا يمكنك أن تستشعر شعور آخر هو الحياء.. فأنت تستحي منه أنه الآن يذكرك في السماء كما تذكره أنت في الأرض، قال تعالى: "فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ" البقرة: ١٥٢، بل إن نفس الأذكار التي قلتها سترتفع إلى السماء ترتفع الأذكار ترتفع إلى أن تصل إلى عرش الرحمن "إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ" فاطر: ١٠ ثم ماذا؟ ثم تبدأ الأذكار بالتذكير بك عند ذي العرش سبحانه كما كنت تذكرها فإنها ستذكر بك قال النبي –صلى الله عليه وسلم– "إنَّ ممَّا تذكرونَ من جلالِ اللهِ التسبيحَ والتهليلَ والتحميدَ ينعطِفْنَ حولَ العرشِ لهنَّ دويٌّ كدويِّ النحلِ تُذكِّرُ بصاحبِها أما يُحبُّ أحدُكم أن يكونَ له أو لا يزالَ له من يُذكرُ به" صححه الألباني

فإذا ذكرت بك تسبيحاتك في السماء ذكرك الله تعالى وهو مستوي على عرشه، من أنا حتى يذكرني فوق سدرة المنتهى التي عندها جنة المأوى رب العزة سبحانه وتعالى وأمام مَنْ؟ أمام الملائكة –حياء– قال النبي –صلى الله عليه وسلم– فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى قال:

"فإن ذَكَرَني فينفسِهِ ذَكَرتُهُ في نَفسي، وإن ذَكَرَني في ملإٍ ذَكَرتُهُ في ملإٍ خيرٍ منهم" صححه الألباني.

إذا تدبرت ذلك ستشعر بالحياء بسرعة فيزيد أجرك وثوابك وهكذا بل إن سمعتك الطيبة عندما تذكر الله تعالى لن تتوقف عند حدود السماء فحتى الأراضي الشاسعة والجبال التي في الأرض سيكون لك منها نصيب قال عبد الله بن مسعود –رضي الله تعالى– عنه إن الجبل لينادي الجبل باسمه ويسأله أمر بك اليوم أحدًا يذكر الله عز وجل إذا قال نعم استبشر بأن هذه الجبل يتوقع أن يصل إليه هذا الذى يذكر الله تعالى فيفرح الجبل الثاني بمرور رجل عليه كما فرح الجبل الأول.

استشعار هذه الأمور عند الذكر يغير طعم الذكر في قلبك، إخواني وأخواتي نريد مشاعر أثناء الذكر لا نريد أن يكون ذكرًا جامدًا لا عبادات قلبية معه ولا شيء.

أدخل مثلًا شعور الرجاء.. رجاء بأنك الآن لديك أملًا كبيرًا وغلب الظن بأن الله تعالى سيثيبك مقابل هذا الذكر ثوابًا عظيمًا من عنده.

غرف الجنة تبنى بالذكر

ذكر ابن أبي الدنيا عن حكيم بن محمد أنه قال: "بلغني أن غرف الجنة تبنى بالذكر فإذا أمسك العبد عن الذكر أمسكت الملائكة عن البناء" فيقال لهم لماذا أمسكتم؟ فيقولوا لهم حتى تأتينا نفقة؟ يعني حتى يأتينا ذكر من العبد فأنت ترجوا وأنت تذكر الله أن الملائكة الآن تبني قصورك، هذا الرجاء الذي تشعر به الآن هو عبادة زائدة عن مجرد الذكر وهذا رجاء أليس رجاء هام بل والله إن من يحسن الظن به سبحانه أنه سيجازينا كل خير عندما نذكره وأنه سينجينا من كل سوء أيضًا.

قال النبي –صلى الله عليه وعلى آله وسلم– "ما عَمِلَ ابنُ آدمَ عمَلًا أنجى لَهُ منَ عذابِ اللَّهِ من ذِكْرِ اللَّهِ" صححه الألباني، ولا يزال العبد يذكر الله ويستشعر كل هذه المشاعر إلى أن يزيل الوحشة التي بين العبد وبين ربه سبحانه لأن الغافل كما قال أهل العلم بينه وبين الله وحشة لا تزول إلا بالذكر قال ابن القيم رحمه الله "إن للذكر من بين الأعمال لذة لا يشابهها شيء فلو لم يكن للعبد من ثوابه ومكافأته إلا اللذة الحاصلة للذات في قلبه لكفى".

ولهذا سميت مجالس الذكر رياض الجنة أي حدائق الجنة.

أسأل الله أن يجعل لنا ولكم من هذه الحدائق أعظم الحظ والنصيب.. اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك.

تم بحمد الله

شاهدوا الدرس للنشر على النت في قسم تفريغ الدروس في منتديات الطريق إلى الله تفضلوا هنا:

http://forums.way2allah.com/forumdisplay.php?f=36